اللغة وعلاقتها بالوعي والقصدية

قراءة تحليلية مقارنة

الطالب الأمين أولاد بن عياد

طالب باحث في ماستر الفلسفة المعاصرة العلوم المعرفية

جامعة عبد المالك السعدي،كلية الأداب والعلوم الإنسانية بمرتيل

المغرب

الملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية، إلى النظر في العلاقة بين اللغة والوعي والقصدية. وخاصة داخل الحقل الفينومينولوجي، كما أسسها وبلورها ادموند هوسرل. كما أن إشكالية دلالة اللغة لا تتسم فقط بكيفية إنتاج اللغة، بل أيضا تعدو باحثة عن مصدره. فوِفق ادموند هوسرل(Edmund Husserl) ، اللغة تتأسس في المقام الأول على القصدية. بمعنى أن فعل الوعي هو الذي يوجه نحو موضوع محدد. فاللغة هنا ليست مجرد نسق من الرموز والعلامات. بينما، يرفض طه عبد الرحمان اختزال اللغة على أنها مجرد بنية قصدية نفسية، بل أنها فضاء ومكان روحي أخلاقي . ومن جهته يؤكد الجابري أن اللغة ظاهرة اجتماعية وتاريخية، تبنى من خلال بنية العقل العربي. ما يعني أن اللغة لا تعتبر فقط فعل فردي. بل ناشئة من خلال شبكات من العلاقة الرمزية والثقافية. وذهب فيتجنشتاين(Ludwing Wittgenstein)، إلى اعتبار أن معنى الكلمة يتجلى في استخدامها داخل حقل اللغة. مما يبرز الحركة الوظيفية للمعنى، وانفتاحه على إمكانيات متعددة متجاوزا بذلك القصدية.

أن اللغة لا يمكن فهمها إلا كنظام مركب. يخالط بين الوعي الفردي والقصدي من جهة، والسياق الثقافي الاجتماعي التاريخي من جهة أخرى. إذن فهي مزيج بين تفاعل الذات والعالم، وبين الفكرة والمجتمع، وأيضا ما بين البنية الداخلية وعالمها الخارجي. بهذا تصبح اللغة بيت الوجود كما وصفها هايدغر. لكنها أيضا فضاء أخلاقي ومرآة الهوية، كما حددها طه عبد الرحمان ومحمد عابد الجابري.

Abstract *:*

This paper aims to examine the relationship between language, consciousness, and intentionality. Especially within the field of phenomenology, as founded and crystallized by Edmund Husserl. The problem of the significance of language is not only characterized by how language is produced, but also by its search for its source. According to Edmund Husserl, language is primarily based on intentionality. In other words, it is the act of consciousness that directs towards a specific subject. Language here is not just a format of symbols and signs. Taha Abdel Rahman, on the other hand, rejects the reduction of language as a mere intentional psychological structure, but rather as a spiritual and moral space and place. For his part, Al-Jabri emphasizes that language is a social and historical phenomenon, built through the structure of the Arab mind. This means that language is not just an individual act. Rather, they arise through networks of symbolic and cultural relationship. Ludwing Wittgenstein argued that the meaning of the word is manifested in its use within the field of language. This highlights the functional movement of meaning, and its openness to multiple possibilities, thus transcending intentionality. that language can only be understood as a composite system. It intertwines individual and intentional consciousness on the one hand, and the socio-historical cultural context on the other. So, it is a mixture between the interaction of the self and the world, between the idea and society, and also between the internal structure and its external world. In this way, language becomes the house of existence as described by Heidegger. But it is also a moral space and a mirror of identity, as defined by Taha Abdel Rahman and Mohammed Abed al-Jabri.

مقدمة:

تعتبر العلاقة بين الوعي والقصد واللغة من أهم الإشكالات التي تعرف زخما مركزيا في الفلسفة المعاصرة، وخاصة داخل الحقل الفينومينولوجي كما أسسها وبلورها ادموند هوسرل. كما أن إشكالية دلالة اللغة لا تتسم فقط بكيفية إنتاج اللغة، بل أيضا تعدو باحثة عن مصدره. بمعنى حتى المعني يبنى داخل القصدية المتمركزة على الوعي، وهذا ما جاء به **هوسرل (Edmund Husserl)** في أطروحته التي تدعم أن المعنى يتأسس على القصدية باعتبارها خاصية أساسية للوعي، مما يجعل اللغة تتشكل انطلاقا من أفعال ذهنية وموضوعاتية. موصلة بنا إلى نقطة جوهرية تفسر كيف يبنى المعنى، إذن ينبغي علينا لزوماً تجاوز النظرة التقليدية الى نظرة عقلية داخلية ذاتية، وأن المعنى اللغوي يبنى على القصدية أي **كل وعي هو وعي الشيء.**[1] فهده الرؤية حملت زخما كبيرا فيم يتعلق بمسألة اختزال اللغة إلى فعل أو دلالة، وأيضا لاكتسابها توجُهات أكثر ثراء ولاسيما مع المفكرين العرب من قبيل **طه عبد الرحمان،** الذي بدوره يربط الوعي اللغوي بجانب الثقافة والروح. وأيضا **عابد الجابري** الذي بدوره أيضا شدد على البعدين الاجتماعي والثقافي، وهذا في مشروعه بنية العقل العربي. وأما ما إذا عدنا إلى هوسرل، فنجده ينطلق من مسألة أن اللغة ليست فقط أصوات أو رموز أو علامات، بل هي فعل قصدي موجه من قبيل الوعي نحو تمثل معين، مشكلةً بذلك دلالة الكلمة.

هذا المنطلق يؤكد على أن عملية الفهم وعلاقتها بالوعي، تحُد بالمعنى الداخلي، لا عن شكل اللغة الخارجي، ولا على حتى طرق استعملاها أو الغاية منها في المواقف الاجتماعية. بل وأكثر من ذلك، فاللغة حقل معرفي متداخل مع الوعي بأوجه وأبعاد أخلاقية وروحية. حيث الذات ليست معزولة بل متصلة بوجودها الثقافي والفكري [2]. هذا التوجه يذهب بنا أن نجعل من فعل الوعي لبنة أساسية في بناء الهوية، باشتراكه مع الظاهرة الاجتماعية الذين بدورهما يتشكلا داخل منظومة القصد، التي تجمع بين المتكلم والمخاطب والعالم. وهي منظومة حية تبرز الفارق بين هوسرل ونموذج اللغة داخل المجتمعات[3]. نفهم إذن أن الوعي اللغوي، رغم أنه قصدي لا يتخلى عن السياق مما يجعل الباب مفتوحا على النزعة الفردانية التي قدمها هوسرل. وأخذا من كل ما سبق، تبادرت في أذهاننا بعض الإشكالات التي تكونت في خضم القراءة وهي: **من أين تكمن دلالة اللغة؟ وما علاقة اللغة بالوعي والقصدية؟ وهل اللغة قصدية؟ وأين يكمن المدلول النطاقي داخل اللغة؟**

[1] : إدموند هوسرل. الأبحاث المنطقية الجزء الثاني. دار ماينر. هامبورغ. 1901.صفحة 102.

[2] : طه عبد الرحمان. اللغة والفلسفة المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء .2003. صفحة 42.

[3] : محمد عابد الجابري بنية العقل العربي. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. 1980. صفحة 155.

المحور الأول: الوعي والقصدية في فلسفة هوسرل؛ تأسيس دلالة اللغة.

قدمت أطروحة إدموند هوسرل نموذجا مفاهيميا واضحا. بحيث ينطلق من فكرة القصدية باعتبارها اللبنة الأساسية للوعي مسهما بذلك أن، كل فعل ذهني يؤدي بنا موضوع ما. وتبقى بينهم اللغة كأداة قصدية، باعتبار أن لا معنى للكلمة في ذاتها بل تتأسس انطلاقا من فعل الوعي القاصد الذي يتجه نحو موضوعا معينا مسميا أن كل وعي هو وعي بشيء[4] . مما يجعل الوعي واللغة بينهما علاقة اتصالية تبادلية لا انفصام لها. هذا التصور يدفعنا إلى التساؤل عن طبيعة الفعل اللغوي نفسه، **هل هو مجرد تعبير عن وعي داخلي؟ أم أنه يتضمن التزاما أخلاقيا وروحيا؟**، فاللغة هي إعلان وجودي وأخلاقي للذات[5]. يربط **طه عبد الرحمان** هذه الرؤية باعتبار على أن اللغة ليست وسيلة تعبيرية فقط بل هي حاملة للفعل الروحي والأخلاقي، فالوعي اللغوي ليس بالضرورة أن يكتفي بالقصدية الذهنية، بل يذهب الحضور الذاتي في العالم المرتبط بالقيم والمعايير الأخلاقية[6]. فالقصدية تجعل من اللغة أكثر من مجرد علامات أو رموز سطحية فاللغة في نظر هوسرل، هي فعل القصد بالأساس. المعبر عن بنيتها الداخلية وعلاقتها بالموضوع. إضافة إلى ذلك حتى الدلالات وعلاقتها بالفعل القاصد، لكون الأولى ليست خاصية ثابتة في الأصوات أو الكلمات. بل تتأسس بالفعل القاصد الذي يقوم به الوعي. هذا الأخير يوجه بدوره الدلالة إلى موضوع محدد ويمنحها تجربة وروحا وحياة داخل التجربة الواعية، بمعنى أخر اللغة ليست جامدة ميتة، بل هي حركات متجددة للوعي تحمل في أحشائها أشكالا متنوعة ومختلفة بحسب السياق والدلالة. فالفعل اللغوي حتما يستخدم شكل الكلمات؛ لا يقتصر فقط بوصف الخارج، بل يشارك في بنائه لخلق المعاني. وهذا ما يجعل من اللغة أداة تعبير عن الحرية الإنسانية وعلى قدرتها لتغير الواقع والتأثير فيه.

ومما سبق. يتعزز الفكر الفينومينولوجي لهوسرل وأيضا لتأويل طه عبد الرحمان للغة باعتبارها فعل قصدي حاملةً للأبعاد الروحية والأخلاقية المرتكزة عليها. وهو ما يجعلها أيضا حلقة أساسية في جميع المحطات الفلسفية ولاسيما المعاصرة منها، التي تناولت بالخصوص علاقة الذات بالأخر. وهذا التحليل يجعل من مسألة اللغة تتخطى الرموز والجمود الى الفعل الحي الذي يعكس عمق الإنسان ووجوده.

[4] : إدموند هوسرل. الأبحاث المنطقية الجزء الثاني. دار ماينر. هامبورغ. 1901.صفحة 84.

[5] : طه عبد الرحمان. اللغة والفلسفة المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء .2003. صفحة 101.

[6] : طه عبد الرحمان. اللغة والفلسفة المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء .2003. صفحة 58.

المحور الثاني: دلالة اللغة بين القصدية والهوية.

إن دلالة اللغة، ترتبط بوجود صلة مشتركة بين الإشارات اللغوية والتمثلات الذهنية والعالم الخارجي(**الهوية**). فتفترض القصدية أن هذه الصلة ترتبط وتقوم على قاعدة التمثلات نفسها. وهذا ما يحدث على مستوى الأبحاث المنطقية الثانية حيث يذهب **هوسرل** إلى وصف الأفعال المقصودة التي تقدم دلالات وتتأسس على فعل الوعي. وبالإضافة أيضا حتى دلالة اللغة تشكل تقاطعا في فهمها من الناحية المعرفية وأبعادها وسياقها ولاسيما مع هوسرل. الذي رأى أن اللغة لا تملك دلالة ذاتية مستقلة وإنما تأخذ دلالتها من الوعي الذي سبق العلامة اللغوية ويمنحها معناها الخاص[7]. هذا الوعي القصدي هو الذي يتجه بالعلامة نحو موضوع خاص، فيصبح المعنى نتيجة علاقة بين الوعي والموضوع. وليس مجرد إشارة عشوائية.

فدلالة اللغة ترتبط بوجود صلة مشتركة بين الإشارات والتمثلات والعالم. فيأتي دور القصد مفترضاً أن هذه الصلة ترتبط وتقوم على قاعدة التمثلات نفسها كما سبق.

فمسألة تأسيس الدلالة على الوعي، حتما تؤدي إلى نتائج إيجابية مهمة، كما أنها تكون مبنية داخل حلقة الوعي. وهذه النتيجة هي ما يصفها هوسرل بالتشكلات المنطقية. مع اعتبار أن اللغة وعلاقتها بالوعي، تتدخلا في مسألة العبارات والأفكار والمفاهيم والأفعال العقلية. من حيث النفي والتأكيد وتقديم المعنى، أو بما يسمى **الكيانات الباطنية**. فمسألة اللغة ترتبط بالأساس على القصدية بحيث ترتكز على التأكيد أن الربط هو من عمل الوعي وحده، وبتالي يتم استبعاد المفاهيم التي لها علاقة بالسلوك أو الهوية. من حيث الدلالة التي تقوم على دور المنبه الخارجي.

والمقصود به، الهوية أو الثقافة أو السياق. غير أن هذا الطرح يثير إشكاليات أخرى من قبيل **هل بإمكان ولادة اللغة بمعزل عن السياق الاجتماعي والثقافي، الذي ينبثق منه المتكلم؟**

إجابة عن هذا التساؤل، نجد جانباً أخر يتناول اللغة من زاوية تاريخية وثقافية ألا وهو المفكر الجليل **محمد عابد الجابري**. حيث يعتبر اللغة داخل الهوية العربية وسياقها ليس مجرد أداة للتعبير، بل هي نظم دلالية تشكل من خلاله بنية العقل العربي. ويعكس التراكم الثقافي والاجتماعي[8]. هذه الرؤية تبرر على أن اللغة متشبعة بالثقافة وبالهوية وبالسياق الخاص.

بحيث لا يمكن فصل أو محو دلالتها عن تلك الخلفيات الاجتماعية التي تشكل الوعي الجماعي.

ما يجعل اللغة محورا أساسيا وعاملا بارزا في تكوين الهوية الثقافية. وبناء على ذلك يمكننا فهم إشكالية دلالة اللغة كعملية تفاعل معقدة بين القصدية الذاتية التي من خلالها يمنحها المتكلم دلالتها وعلامتها، وأيضا البعد الوجداني والثقافي الاجتماعي. الذي يشكل اللغة كمنطلق للتاريخ والهوية.

في الختام. تبين أن اللغة هي مزيج تفاعلي بين وعي القصدية والهوية الثقافية التاريخية، وهذا التفاعل هو ما يجعل من اللغة وسيلة فعالة في بناء المعنى والهوية في آنٍ واحد.

---

[7] : إدموند هوسرل. الأبحاث المنطقية الجزء الثاني. دار ماينر. هامبورغ. 1901.صفحة 119.

[8] : محمد عابد الجابري بنية العقل العربي. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. 1980. صفحة 156.

المحور الثالث: اللغة والمدلول النطاقي للمفاهيم؛ مقاربة فلسفية معرفية

ينظر إلى اللغة باعتبارها معطى إنساني أساسي محظ. فهي أداة التعبير والتفكير والتواصل وأيضا إنتاج المعنى. في المقابل تمثل المفاهيم اللبنات الأساسية في بناء الفكر، إذ تجعلنا نصنف العالم الخارجي وفهمه أكثر. مما يتضح أن هناك علاقة جدلية بين اللغة والمفاهيم. فالمفهوم ليس مجرد، بل هو محتوى مستقل ينتظر التعبير باللغة ذاتها مسهمةً في تشكيله وتحديده وإبراز مداه. وانطلاقا من ذلك نستخلص الإشكالات التالية: **إلى أي حد تساهم اللغة في تحديد المدلول النطاقي للمفاهيم؟ وهل يمكن الحديث عن وجود مفهوم مستقل عن اللغة؟ أم أن اللغة هي الحقل الذي يبرز فيه المفهوم معانيه الممكنة؟**

وفي هذا الصدد يرى **فيتجنشتاين(Ludwing Wittgenstein)**، أن المعنى المحدد للكلمة لا يمكن فهمه إلا من خلال استخدامها داخل نطاق اللغة، أي ضمن سياقات الحياة اليومية والتفاعل الجماعي[9] .

ومن جهة أخرى يعتبر **هوسرل**، أن حتى المفاهيم ما هي إلا تعبيرات قصدية عن التجربة الحية للوعي. واللغة هي الوسيط الذي ينقلها من المستوى الذاتي إلى المستوى التواصلي[10].

فمن خلال هذا يشير المفهوم ومصطلح المدلول النطاقي إلى مجموع الإمكانات التي تصب في الاتجاه الدلالي الذي يتخذه المفهوم داخل السياق أو السياقات المختلفة. وهذا يعني أن المفهوم لا ينحصر فقط في تعريف واحد دائري مغلق. بل له حقل دلالي متسع داخل الخطاب والوظيفة الاجتماعية. فمثلا مفهوم الحرية يتخذ دلالات عديدة، في الفن يدل على التحرر الإبداعي[11]. وفي الأخلاق يقصد به مبدأ الاستقلالية وتحمل المسؤولية[12]. وأما في الفلسفة السياسية يأخذ منحى أخر كالتحرر من السيطرة والاستبداد[13].

فالمفهوم الواحد له دلالات نطاقية مختلفة. واللغة لا تكتفي بنقل المفهوم فقط، بل تعيد صياغته وتوسيع دلالته. فكلما تعددت العبارات والألفاظ والتراكيب، زاد اتساع المدلول النطاقي للمفهوم ذاته. وأحيانا تظهر هذه العلاقة بين المفهوم النطاقي واللغة صعوبة، فيم يتعلق بالترجمة بين اللغات والثقافات إذ يختلف الحقل النطاقي الدلالي، ويترتب عليه تفاوتات من حيث الفهم. مما يجعل وضوح العلاقة التي تجمع بين اللغة والمفاهيم علاقة تأسيسية بنيوية. فاللغة لا تنقل المفاهيم فقط بل تساعد في إبراز تكوينها وتحديد نطاق دلالتها والعمل عليها.

كما أن المدلول النطاقي بمثابة الوسط الحيوي الذي تتراقص فيه دلالات المفاهيم، وهو ما يؤدي إلى الإيمان، أو الوعي بالسياق اللغوي والثقافي، لفهم المفهوم وخلفيته، لتفادي التأويل خصوصا في مجالات الترجمة والتواصل.

---

[9] : فيتجنشتاين لودفيغ. بحوث فلسفية، ترجمة فؤاد زكرياء، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1983، صفحة 20.

[10] : إدموند هوسرل،أ فكار ممهدة لفينومينولوجية خالصة، وفلسفة فينومينولوجية، 1913، صفحة 57.

[11] : عبد الكبير الخطيبي، الإسم العربي الجريح، دار النشر المغربية، الدار البيضاء 1980، صفحة 45.

[12] : ريكور بول، الذات عينها كأخر، ترجمة سعيد بن كراد، دار توبقال، 1990، صفحة 85.

[13] : محمد عابد الجابري بنية العقل العربي. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. 1980. صفحة 112.

خاتمة

في الختام وعلى ضوء الإشكالات التي طرحناها من قبيل أين تمكن دلالة اللغة؟ وما علاقة اللغة بالقصدية والوعي؟ وأين يتجلى المدلول النطاقي داخل اللغة؟ يتبين من خلال ما سبق أن الإجابة تقتضي عدة قراءات لمستويات مختلفة للغة، من حيث أنها ظاهرة نفسية ومعرفية وإنسانية. **فوفق ادموند هوسرل (Edmund Husserl)**، اللغة تتأسس في المقام الأول على القصدية. بمعنى أن فعل الوعي هو الذي يوجه نحو موضوع محدد. فاللغة هنا ليست مجرد نسق من الرموز والعلامات، بل تنوع لحركة الفكر الذاتي. فالعلامة اللغوية تستمد معناها من القصد الأولي. ولكن هذا الطرح يظل قاصراً. لا إذا ما غاب علينا أثر الهوية الاجتماعية والثقافية في بناء وتحديد المعنى. لأن حتى الوعي بنفسه لا ينفصل عن شروطه الخارجية المتمثلة في تجلياته للقصدية.

فعند الانتقال نحو البعد الهوياتي، ولاسيما في مسألة دلالة اللغة، نجد أن حتى **طه عبد الرحمان** رفض رفضا قاطعا في اختزال اللغة على أنها مجرد بنية قصدية نفسية، حيث رأى أن اللغة هي فضاء ومكان روحي أخلاقي[14]. ومن جهته يؤكد **الجابري** أن اللغة ظاهرة اجتماعية وتاريخية. تبنى من خلال بنية العقل العربي. ما يعني أن الدلالة لا تعتبر فقط فعل فردي. بل ناشئة من خلال شبكات من العلاقة الرمزية الثقافية[15]. هنا يتجلى لنا أن المعنى لا ينبع من الداخل وحده بل يتأسس ويتشكل من الخارج على ضوء التاريخ والثقافة والهوية. أما فيم يخص المدلول النطاقي فاتضح، أن اللغة لها القدرة على احتواء طبقات متعددة من المعنى، والذي بدوره يتغير ويرتقي حسب السياق. **فيتجنشتاين(Ludwing Wittgenstein)**، اعتبر أن معنى الكلمة يتجلى في استخدامها داخل حقل اللغة. مما يبرز الحركة الوظيفية للمعنى، وانفتاحه على إمكانيات متعددة متجاوزا بذلك القصدية.

من خلال هذه القراءات، أرى شخصيا، أن اللغة لا يمكن فهمها إلا كنظام مركب. يخالط بين الوعي الفردي والقصدي من جهة، والسياق الثقافي الاجتماعي التاريخي من جهة أخرى. إذن فهي مزيج بين تفاعل الذات والعالم، وبين الفكرة والمجتمع، وأيضا ما بين البنية الداخلية وعالمها الخارجي. بهذا تصبح اللغة بيت الوجود كما وصفها **هايدغر**. لكنها أيضا فضاء أخلاقي **ومرآة الهوية**، كما حددها طه عبد الرحمان. إن اللغة في نظري لا تكتمل في حصرها داخل البعد القصدي ولا اختزالها كظاهرة اجتماعية، بل أنها جدلية مفتوحة، يتم التفاعل فيها بين الوعي الداخلي والسياق الخارجي والأخلاقي والهوية. وهكذا تغدو اللغة تجربة شاملة للإنسانية، تعبر عن التطور وتبرز الهوية مما تؤدي بنا إلى لذة المعنى، لتصبح الحضن الأوسع الذي يحتضن الإنسان بكل تجلياته وتطلعاته.

[14] : طه عبد الرحمان. اللغة والفلسفة المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء .2003. صفحة 98.

[15]: محمد عابد الجابري بنية العقل العربي. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. 1980. صفحة 155

المصادر والمراجع:

- إدموند هوسرل. الأبحاث المنطقية الجزء الثاني. دار ماينر. هامبورغ. 1901.
- إدموند هوسرل، أفكار ممهدة لفينومينولوجية خالصة، وفلسفة فينومينولوجية، 1913 .
- ريكور بول، الذات عينها كأخر، ترجمة سعيد بن كراد، دار توبقال، 1990.
- طه عبد الرحمان. اللغة والفلسفة المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء .2003.
- عبد الكبير الخطيبي، الإسم العربي الجريح، دار النشر المغربية، الدار البيضاء 1980
- فيتجنشتاين لودفيغ. بحوث فلسفية، ترجمة فؤاد زكرياء، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1983.
- محمد عابد الجابري بنية العقل العربي. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. 1980.